الإِمَامُ أحمدُ بنُ حَنْبَل
قاهرُ المعتزلةِ[1]
(164 ـ 241هـ)

الإِمَامُ أَحمدُ بنُ حنبلٍ، قاهرُ المُعتزلةِ، الفَقيهُ الزَّاهدُ الحليمُ، حُجَّةُ أَهلِ زمانِهِ وأَفقهُ النَّاسِ وأَتقاهُمْ في عَصرِهِ، مَنْ بلغَ في زُهدِهِ وورَعِهِ وتَواضُعِهِ أَعلَى درجاتِ السُّموِّ والرِّفعةِ في عيونِ النَّاسِ، ونالَ عِندَهُمْ منزلةً عَظيمةً حَسدَهُ عليها الخُلفاءُ والولاةُ والأُمراءُ، ونخالُ أَنفسَنا ونَحنُ نَقرأُ سيرةَ حياتِهِ، أمامَ رَجلٍ مِنَ الرَّعيلِ الأَوَّلِ مِنَ الصَّحابَةِ الكرامِ الَّذينَ ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: 23]. وحَقّاً كانَ الإِمَامُ «ابنُ حنبلٍ» مِنَ المُنتظرينَ، وما بَدَّلَ في اتِّباعِهِ لِسُنَّةِ الرَّسُولِ الأَكرمِ ﷺ، ودِفاعِهِ عَنها تَبديلاً.

أَذهلَ الإِمَامُ «ابنُ حنبلٍ» العقولَ بِعلمِهِ، وقوَّةِ حفظِهِ لحديثِ النَّبيِّ ﷺ، فَما ظَنُّنا أَو

---

(1) المعتزلة: فرقة من أصحاب الكلام تكلموا في العقائد، و أَوَّلوا آيات القرآن تأويلات باطلة، ولهم آراء تنافي العقيدة الصَّحيحة، منها: أن الله لا يُرى بالأَبصار في الآخرة، وأن العباد يخلقون أفعالهم، كما قالوا بخلق القرآن وأَحدثوا تلك الفتنة الَّتي راح ضحيتها كثيرٌ مِنَ العُلماءِ.

تَقديرُنا لِرجلٍ أَو عالمٍ يَحفظُ مِنْ أَحاديثِ المُصطفَى أَلفَ أَلفِ حديثٍ، فَضلاً عَمَّا يَحفظُ مِنْ قَواعدِ وأَحكامِ علمِ الفقهِ وأُصولِهِ؟! حَقّاً سوفَ يَكونُ حجَّةً عَلى أَهلِ زمانِهِ، بَلْ حجَّةً عَلى المُسلمينَ في مُختلفِ العُصورِ والدُّهورِ اللَّاحقَةِ.

ولَقَدْ تَحقَّقَتْ فيهِ نبوءةُ العالمِ الكبيرِ «الهيثَمِ بنِ جميلٍ» عندَما رآهُ وهوَ لَمْ يَزلْ فَتىً يافعاً، فَخبرَ ذَكاءَهُ ونَجابَتَهُ، وتَفرَّسَ فيهِ الإِمامَةَ في العلمِ، فَقَالَ لِمَنْ حولَهُ مِنْ أَعيانِ العُلماءِ: «إِنْ عاشَ هذا الفَتَى فَسيكونُ حجَّةً عَلى أَهلِ زمانِهِ».

عاشَ «أَحمدُ بنُ حنبلٍ» في عَصرٍ أَحوجُ ما يكونُ إِلى مِثلِهِ مِنَ العُلماءِ، كَيْ يُصلحَ بِهِ اللهُ العقولَ الَّتي غَزَتْها الثَّقافاتُ المُنحرفَةُ الدَّخيلَةُ، وكَيْ يُدافِعَ عَنِ العقيدةِ الصَّحيحةِ أَمامَ المُزاودينَ المُنافقينَ، وحَتَّى يُواجهَ بِشكيمَتِهِ غَطرسَةَ الحُكَّامِ المُتكبرينَ عَلى الحَقِّ، والمَأخوذينَ بِتيارِ الأَفكارِ الهدَّامَةِ، وإِنْ وَصفَهُم البَعضُ بِالعقلانيَّةِ والانفتاحِ، فَمُمارَساتُهُم الجَهلاءُ دَلَّتْ عَلى أَنَّهُمْ كانوا يَحتكرونَ حريَّةَ الرأي والتَّعبيرِ، ويُرهبونَ النَّاسَ لِحملِهِمْ على اتِّباعِ أَفكارِهِمْ بِالقوةِ والعُنفِ.

أَجل، قادَ «أَحمدُ بنُ حنبل» لِوحدِهِ المُعارضَةَ العلميَّةَ والفقهيَّةَ، وحملَ لواءَ الدِّفاعِ عَنْ عَقيدةِ السَّلفِ الصَّالحِ مُتحدِّياً السُّلطةَ الحاكمةَ مُتمثلةً بِشخصِ الخليفَةِ، وتَحمَّلَ العذابَ والسِّجنَ مِنْ أَجلِ إِعادةِ الأُمَّةِ إِلى جادَّةِ الحقِّ والصَّوابِ، بَعدَ أَنْ كادَتْ تَعصفُ بِها فتنَةٌ هَوجاءُ دَبَّرَ أَمرَها المُعتزلةُ بِليلٍ، وفَتنوا بِها الخُلفاءَ والحُكَّامَ، وحَيَّروا بِها عُقولَ العامَّةِ،

فَوقفَ لَهُم الإمامُ أَحمدُ بِالمرصادِ، وجعلَ أَمرَ فِتنَتِهِمْ إِلى بَوارٍ وإِلى زَوالٍ، فَلَمْ تَقُمْ لَهُمْ قائِمةٌ بَعدَها.

ويَرَى النُّقادُ والمُؤَرِّخُونَ ـ قَديماً وحديثاً ـ أَنَّهُ لو لَمْ يُقَيِّض اللهُ لِهذِهِ الأُمَّةِ «أَحمدَ بنَ حَنبَل» لأَحدَثَ المُعتزلَةُ في الإِسلامِ ثُلمةً كانَ لَها مِنْ حياةِ المُسلمينَ ما يَتمَنَّاهُ أَعداؤُهُمْ لَهُمْ، وما يَرجوهُ مُناوئوهُمْ مِنْ عَقيدَتِهِم الَّتي هيَ مَبعثُ قُوَّتِهِمْ، ومَنبعُ عزَّتِهِمْ، وداعي تَمَسُّكِهِمْ بِالفضائِلِ والقيَمِ الخالدةِ.

فَتعالوا معاً، لِنَعشْ لَحظاتٍ فيها المتعَةُ والغِبطةُ، وفيها الإِعجابُ والإِكبارُ، ونَحنُ نُطالعُ بَعضَ جوانبِ حياةِ الإِمامِ «أَحمدَ بنِ حنبل» قاهرِ المُعتزلةِ، وهادمِ صَرحِ مَذهبِ الاعتزالِ وعُلماءِ الكلامِ، ونتعرَّفْ عَلى جهادِهِ الصَّادقِ بِكلمةِ الحقِّ المُبينِ.

❁ ❁ ❁

هوَ الإِمَامُ الفَقيهُ المُحدِّثُ أَبو عبدِ اللهِ أَحمدُ بنُ حنبل بنِ هلالٍ الشَّيبانيُّ الذُّهليُّ، فَأَصلُهُ عربيٌّ صَرفٌ مِنْ جهةِ أبيهِ وأُمِّهِ، مِن بَني ذُهلٍ أحدِ فروعِ قبيلةِ شيبانَ العربيَّةِ المشهورةِ بِعُلمائِها وشُعرائِها وفُرسانِها، وكانَ مِنهُم القائِدُ الإِسلاميُّ الكبيرُ «المُثَنَّى بنُ حارثَةَ الشَّيبانيُّ»، كما كانَ جَدُّ الإِمامِ أحمدَ «هلالٌ الشَّيبانيُّ» والياً عَلى مُقاطعةِ «سرخَسَ» في إِقليمِ خُراسانَ في عَهدِ الأُمويِّينَ، وقد والَى العباسيِّينَ وصارَ مِنْ كبارِ قُوَّادِهِمْ في المَنطقَةِ.

ولدَ الإِمَامُ أَحمدُ في بَغدادَ سنةَ (164) هجريَّةً، فَتعلَّمَ في صغرِهِ القِراءَةَ والكتابةَ،

وحفظَ القُرآنَ الكريمَ عَنْ ظَهرِ قلبٍ، ثُمَّ تَنقَّلَ في كتاتيبِ ودَواوينِ العلمِ في بَغدادَ، مُقبِلاً عَلى العلمِ والحفظِ بِشغفٍ، فَفاقَ أَقرانَهُ مِنْ طلبَةِ العلمِ في بَغدادَ كُلِّها، وصارَ مَضربَ مَثلٍ في اجتهادِهِ ومُثابرتِهِ عَلى طَلبِ العلمِ، ولَمَّا نَضجَ سنُّهُ وعمرُهُ خرجَ يَطلبُ الحديثَ، فلازمَ الفَقيهَ والمُحدِّثَ «أَبا يوسُفَ» صاحبَ أَبي حنيفَةَ، والإِمامَ «أَبا حازمٍ الواسطيَّ» وسَمعَ مِنهُما الحديثَ وأُصولَهُ فَنضجَ في هذا العلمِ وهوَ لَمْ يَزَلْ شاباً يافعاً.

❁ ❁ ❁

كَما يُقالُ: لِكُلِّ عَصرٍ رَجلٌ، وكانَ «قاهرُ المُعتزلةِ» رَجلَ عصرِهِ بِلا منازعٍ أَو مُنافسٍ، فَقَدْ عاشَ مِحنَتَهُ الَّتي فُرِضَتْ عليهِ فَرضاً، وأُقحِمَ فيها إِقحاماً فَما زاغَ عَن الحَقِّ خِلالَها، وما ضَعُفَ أَمامَ جلاديهِ الَّذينَ أَخذَتهُم العزَّةُ بِالإِثمِ، وغَرَّهُمْ بِاللهِ الغَرورُ، وخرجَ مِنْ محنتِهِ ظافراً مُنتصراً، وأَحيا اللهُ بِهِ ما كانَ مَيتاً مِنْ علومِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابعينَ.

وكانَ مِنْ خَبرِ هذِهِ المحنَةِ: أَنَّ المُعتزلَةَ نَشطوا في عهدِ الخليفَةِ «المأمونِ» نَشاطاً مَلحوظاً، وصاروا يؤوِّلونَ أَحكامَ الدِّين تَأويلاً خاطِئاً، يَتَّفقُ مَعَ آرائِهِم الفَلسفيَّةِ المُثيرَةِ لِلشكوكِ والشُّبهاتِ والداعيَةِ إِلى عدمِ الثِّقةِ بِما يَقولُهُ الرَّسُولُ الأَعظمُ ﷺ.

وكانَ الخليفَةُ «المَأمونُ» مَيَّالاً بِطبعِهِ نَحوَ مَذهبِ الاعتزالِ، فَقرَّبَ إِليهِ كبارَ عُلماءِ المُعتزلةِ وعَلى رأسِهِمْ: «ثُمامَةُ بنُ الأَشرسِ» والقاضي «أَحمدُ بنُ أَبي داؤدَ» الَّذي أَصبحَ قاضي القُضاةِ في عهدِهِ وعهدِ خليفَتِهِ «المُعتصمِ»، ولِهذا وجدَ المُعتزلةُ الفُرصةَ سانِحةً أَمامَهُمْ لِفرضِ آرائِهِمْ عَلى النَّاسِ، وبِشكلٍ خاصٍّ عَلى خُصومِهِم الاسْتراتيجيينَ أَهلِ السُنَّةِ

والحديثِ (المُحدِّثينَ)، ورَغبوا أَنْ يَكونَ مَذهَبُهُمْ هوَ السَّائِدُ في سائِرِ أَنحاءِ مَملكةِ الإسلامِ، فَابْتَدعوا مَسأَلةَ خلقِ القُرآنِ لِتكونَ مقياساً لانتسابِ غيرِهِمْ إِلى مَذهبِهِمْ أَو رَفضِهِ، بِناءً عَلى النَّظريَةِ الَّتي تَقولُ: «إِنَّ اللهَ وحدَهُ هوَ القَديمُ، وكُلُّ ما عداهُ ـ حتَّى كلامِهِ ـ فَهوَ مُحدثٌ ومَخلوقٌ».

فَتوَقَّفَ المُحَدِّثونَ عَن النُّطقِ بِهذِهِ المَسألةِ وقالوا: «القرآنُ كلامُ اللهِ، ولا نَقولُ مَخلوقٌ ولا غيرُ مَخلوقٍ، وإِثارةُ هذِهِ المَسأَلةِ بِدعةٌ». فَتحمَّسَ «المأمونُ» لِهذِهِ المَسأَلةِ، وصَدَّرَ كتاباً إِلى والي بَغدادَ «إِسحاقَ بنِ إِبراهيمَ» يَأمرُهُ بِحملِ النَّاسِ عَلى عَقيدةِ المُعتزلَةِ بِأَنَّ القّرآنَ مَخلوقٌ، وأَنَّ كُلَّ مَنْ يَقولُ بِخلافِ هذِهِ العقيدةِ فَهوَ ضالٌّ مُنحرفٌ عَنْ عقيدةِ التَّوحيدِ يَجبُ تَقويمُهُ والقَصاصُ مِنهُ حتَّى يُؤمنَ بِها!

عاشَ المجتمعُ الإِسلاميُّ هذِهِ المحنةَ، وعُزلَ قُضاةٌ، وطُردَ ولاةٌ، ومُنعَ عُلماءُ عَنِ التَّدريسِ والفُتيا بِسَبَبِها، وراحَ ضَحيَّتَها بَعضُ القُراءِ والمُحدِّثينَ، ووَقعَ النَّاسُ في بَلاءٍ عَظيمٍ، لا يَدرونَ ما يَفعلونَ إِزاءَ فِكرةٍ لا تَستَسيغُها عُقولُهُمْ، لأَنَّها كانَتْ فكرةً فلسفيَّةً صَرفَةً، اسْتطاعَ المُعتزلةُ بِها أَنْ يُشغلوا الدَّولةَ والخليفَةَ، ومِنْ ثمَّ كتبَ «المَأمونُ» إِلى والي بَغدادَ كتاباً آخرَ يأمرُهُ فيهِ بِجمعِ كبارِ الفُقهاءِ والمُحدِّثينَ في بَغدادَ، ويُخيِّرُهُمْ في هَذِهِ المَسألةِ، فَمَنْ أَيدَها أَطلقَ سراحَهُ، ومَنْ رَفضَها حبسَهُ وشَدَّدَ عليهِ حَتَّى يَقولَ: إِنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ!

❋ ❋ ❋

عِندما جمعَ والي بغدادَ الفُقهاءَ والمُحدِّثينَ، وقَرأَ عليهِمْ كتابَ المَأمونِ بِقطعِ عُنقِ مَنْ يَقولُ بِخلافِ عَقيدةِ المُعتزلةِ، أَيدَ جَميعُهُمْ عقيدةَ المُعتزلةِ خَوفاً على أَنفُسِهِمْ وإِبقاءً على حياتِهِمْ، إِلَّا اثنانِ مِنهُمْ: «أَحمدُ بنُ حنبل» و«مُحمَّدُ بنُ نوحٍ» فَقُيِّدا بِالسَّلاسِلِ والأَغلالِ، وحُملا إِلى الخليفَةِ المأمونِ في الرّقةِ، ولَكِنْ ماتَ المأمونُ قَبلَ وصولِهما إِلى الرّقَّةِ، فَحُملا مِنْ جَديدٍ إِلى بَغداد لِيَنظرَ «المُعتصمُ» خليفَةُ المأمونِ في أَمرِهما، حيثُ كانَ عَلى مذهبِ المُعتزلةِ أَيضاً.

وفي الطَّريقِ ماتَ «محمَّدُ بنُ نوحٍ» وهوَ يرسفُ في الأَغلالِ، وَبقيَ «أحمدُ بنُ حنبلٍ» لوحدِهِ يَقودُ المُعارضَةَ الفكريَّةَ والدِّينيَّةَ ضِدَّ عقيدةِ المُعتزلةِ، وكانَ بِإِمكانِهِ أنْ يَفلُتَ مِنَ العذابِ لو نَطقَ بِكلمةٍ واحدةٍ تَدلُّ عَلى موافقتِهِ لِعقيدةِ المُعتزلةِ، ولَكنَّهُ شَعرَ بِمسؤُوليَتِهِ تِجاهَ الأُمَّةِ والدِّين والعقيدةِ، إِذْ كانَت الجماهيرُ تَرنو إِليهِ لِتسيرَ وراءَهُ فيما يُبديهِ مِنْ رَأيٍ حيالَ عقيدةِ المُعتزلةِ، إِذْ لو لانَ أَو اسْتجابَ لِمطالبِ المُعتزلةِ لَسادَ مَذهَبُهُمْ في الأُمَّةِ، ولَطغَتْ آراؤُهُمْ وفَلسَفَتُهُمْ عَلى علمِ السَّلفِ الصَّالحِ، ولانْدثرَتْ علومُ الحديثِ والسُّنَّةِ، ولَفُتِحَ بابُ التأويلِ لأَحكامِ الدِّين والعقيدةِ عَلى مِصراعيهِ، وخاضَ كُلُّ لَجوجٍ مُغرضٍ في إِثارةِ الشُّبهاتِ حولَ عقيدةِ التَّوحيدِ، وبِالتَّالِي لَسَرَتْ جرثومَةُ الإِلحادِ في شَراييِنِ الأُمَّةِ، وبَعدَهُ يَكونُ الفَسادُ والانحلالُ في الأَخلاقِ والسُّلوكِ.

لَقَدْ قَضَى «قاهرُ المُعتزلةِ» في هذِهِ المحنَةِ ثلاثينَ شَهراً أَسيراً في سِجنِ العامَّةِ في بَغدادَ، ومَضَتْ عليهِ الشُّهورُ الأُولَى مِنها، وهوَ في تَعذيبٍ دائِمٍ، وتنكيلٍ مُستمرٍّ، فَتحمَّلَ

في سبيلِ نصرةِ الدِّين والعقيدةِ مِنَ الآلامِ ما تَنفطرُ لَها الأَكبادُ، وتَشيبُ منْ هولِها الولدانُ فَتلقَّاها بِصبرٍ واحتسابٍ.

ومِمَّا يؤسَفُ لَهُ حقّاً، أَنَّ خليفَةَ المُسلمينَ «المُعتصمَ» كانَ يُشرفُ معَ قاضي القُضاةِ عَلى تَعذيبِ الإِمامِ «أَحمدَ» ويَقفُ فوقَ رأسِهِ لِيَستَنطقَهُ بِالقُوَّةِ والإِرهابِ بِعقيدةِ المُعتزلةِ، فَكانَ الإِمَامُ السَّجينُ يُصرُّ عَلى قَولِ الحقِّ!

وصادفَتْ أَيَّامُ العذابِ شهرَ رَمضانَ، فَكانَ الإِمَامُ يَحدبُ على الصِّيامِ وهوَ يَئنُّ في أَغلالِهِ، ولَمْ يَفطرْ يوماً واحداً رغمَ أَنَّهُ أَشرفَ عَلى الهلاكِ أَكثرَ مِنْ مرَّةٍ، وربَّما أُخِّرَ عَنهُ الماءُ إِلى ما بعد الإفطارِ بِساعاتٍ، أَو مُنعَ عَنهُ الطَّعامُ ليومينِ أَو لِثَلاثةِ أَيامٍ.

ومِنْ أَصنافِ العذابِ الَّتي لاقاها «قاهرُ المُعتزلةِ» في حبسِهِ: أَنَّهُمْ كانوا يَربطونَ ذراعيهِ إِلى عضَاضَتين مِنَ الخشَبِ (وهيَ آلةُ تَعذيبٍ يُقالُ لَها الخلَّاعةُ) ثُمَّ يَشدونَ طَرفيهِما بِحبلٍ معلقٍ إِلى السَّقفِ بِحلقَةٍ، فَيَحُسُّ بِأَنَّ أَطرافَهُ تَنخَلعُ مِنْ جسمِهِ ويُآلِمُهُ ظَهرُهُ وصَدرُهُ بِشدَّةٍ.

ومِنها أَنَّهُمْ كانوا يَربطونَهُ إِلى عَمودٍ، ثُمَّ يَمرُّ عليهِ عُلوجُ الخليفَةِ مِنَ التُّركِ والدَّيلمِ واحداً واحداً، ويَكزونَهُ عَلى وَجهِهِ بِنِصالِ سيوفِهِمْ، أَو يُؤمَرُ بِطرحِهِ عَلى الأَرضِ ويَدوسونَ عَلى بَطنِهِ بِالأَقدامِ والنِّعالِ، أَو يُجلدُ جَلداً مُبرِحاً.

وكانَ يَجري كُلُّ ذَلِكَ بِأَمرِ الخليفَةِ وأَمامَ ناظريهِ، ورُبَّما أَنَّبَ الجلَّادينَ الَّذينَ يَتراخونَ

بِضربِهِ كَيْ يُضاعفوا قُوَّتَهُمْ بِضربِ السِّياطِ، وأَعيانُ المُعتزلةِ حولَهُ يَضحكونَ ويَسخَرونَ مِنَ الإِمامِ الصَّابرِ الحليمِ.

«لا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العليِّ العَظيمِ» كانَت البَلسَمَ الَّذي يُواسي بِها الإِمَامُ العَظيمُ نَفسَهُ وسطَ أُتونِ العذابِ الَّذي لا يَصبرُ عليهِ إِلَّا أُولو العزمِ مِنْ أَشاوسِ الرِّجالِ الَّذينَ أُيِّدوا بِفضلٍ وكرامةٍ مِنَ اللهِ الكبيرِ المُتعالي.

وبينَ الفترةِ والأُخرَى كانَتْ تَتسرَّبُ إِلى الشَّارعِ العامِّ أَخبارُ ما يَتعرضُ لَهُ «قاهرُ المُعتزلةِ» عَلى أَيدي زَبانيَةِ الخليفَةِ، فَتهتفُ جُموعُ النَّاسِ هُنا وهُناكَ: «اللهُ أَكبرُ... عاشَ الإِمَامُ أَحمدُ بنُ حنبل!».

وهكذا صارَتْ محنَةُ الإِمامِ الصَّابرِ الحليمِ مَلحمةً شَعبيَّةً أَكبرَها النَّاسُ، وسارَتْ بِها الرُّكبانُ في جميعِ أَنحاءِ مَملكةِ الإِسلامِ. ولَمَّا أَدركَ المُعتصمُ أنَّ ولاءَ النَّاسِ لَهُ في نُقصانٍ، وشَعبيَّةَ «قاهرِ المُعتزلةِ» في ازديادٍ، أَمرَ بِإِطلاقِ سَراحِهِ خَوفاً مِنْ ثَورةٍ عارمةٍ عليهِ يُؤجِّجُها العُلماءُ المُخلصونَ لِدينِهِمْ وعَقيدتِهِمْ بَعدَ تَكهرُبِ الجوِّ العامِّ لِلبلادِ بِسببِ هَذِهِ المحنةِ.

خَرجَ «قاهرُ المُعتزلةِ» مِنْ أَسرِهِ، واسْتقبلَتْهُ جماهيرُ النَّاسِ بِاحتفاءٍ عارمٍ طَغَى على جميعِ أَنحاءِ البِلادِ فَرحاً وابتهاجاً بِانتهاءِ هذِهِ المِحنةِ الَّتي لَمْ يَجنِ منها المُعتزلةُ إِلَّا الخُسرانَ المُبينَ، وزَرعوا في قلوبِ النَّاسِ الكراهيَةَ لَهُمْ.

يقولُ «أَحمدُ أَمين» في كتابِهِ الرَّائعِ «ضُحَى الإِسلامِ»: «ولَمْ يَستردَّ المُعتزلةُ سُلطَتَهُمْ يوماً ما بَعدَ المحنَةِ».

أَمَّا الإِمَامُ أَحمدُ بنُ حنبل فَلَمْ يَزلْ في صعودٍ واعتلاءٍ حَتَّى تواضَعَتِ القُلوبُ عَلى حُبِّهِ مِنَ العَامَّةِ والأَعيانِ والعُلماءِ، حَتَّى قالَ قائِلُهُمْ: «مَنْ سَمعتموهُ يَذكرُ أَحمدَ بنِ حنبل بِسوءٍ فَاتَّهموهُ عَلى الإِسلامِ». وقالَ في حَقِّهِ كبيرُ مُحدِّثي عَصرِهِ، وشَيخُ الإِمامِ البُخاريِّ «عليُّ بنُ المدنيّ»: «إِنَّ اللهَ أَعزَّ هذا الدِّينَ بِأَبي بَكرٍ الصِّديقِ يومَ الرِّدَّةِ، وبِأَحمدَ بنِ حنبل يَومَ المِحنَةِ».

توفي الإِمامُ «أحمدُ بنُ حنبل» سنةَ (241) هجريَّةً، بَعدَ أَنْ مرضَ ولَزمَ الفراشَ تسعةَ أَيّامٍ مُتواليَة، وكانَ النَّاسُ يَدخلونَ عليهِ أَفواجاً لِيَعودوهُ ويُسَلِّموا عليهِ، وتَعطلتْ بَعضُ الأَسواقِ القريبَةِ مِنْ دارِهِ لِازدحامِ النَّاسِ عَلى دارِهِ، وجاءَ العَسكرُ والعسَسُ يُنظِّمونَ دخولَ النَّاسِ عليهِ، وقُبِضَ صدرَ النَّهارِ مِنْ يَومِ الجُمعةِ، وأُخرجَتْ جنازتُهُ عقبَ صلاةِ الجُمعةِ، وشَيَّعَها جمعٌ غفيرٌ مِنَ النَّاسِ لَمْ يُرَ مثلُهُ في تاريخِ بَغدادَ، فبلغَ عَددُ المُشيعينَ مِنَ الرِّجالِ نَحوَ أَلفِ ألفِ رَجلٍ، وستينَ ألفِ امرأةٍ، غيرَ السُّفنِ الَّتي جابَتْ نَهرَ دجلةَ حزناً وغَمّاً وتوديعاً لِلإِمامِ قاهرِ المُعتزلةِ، ويُقالُ: إِنَّ أَبوابَ الدُّورِ والمَنازلِ فُتحتْ على الشَّوارعِ كَي يَتَسَنَّى لِمَنْ حضرَ جنازتَهُ الوضوءُ.

الأَسئلة والمناقشة

1 ـ ماذا بلغَ الإِمَامُ أحمدُ بنُ حنبل في زُهدِهِ ووَرعِهِ وتَواضُعِهِ؟

2 ـ لِماذا كانَ الإِمَامُ أحمدُ بنُ حنبل حجَّةً على أهلِ زمانِهِ؟

3 ـ لِماذا كانَ عَصرُ الإمامِ أحمدَ أَحوجَ ما يكونُ إِلى مِثلِهِ مِنَ العُلماءِ؟

4 ـ إِلى مَنْ يَنتهي نسبُ الإِمامِ أحمدَ منْ جهةِ أبيهِ وأُمِّهِ؟

5 ـ ماذا أَوَّلَ المُعتزلةُ، ولِماذا قَرَّبَهُم المَأمونُ إِليهِ؟

6 ـ ماذا قالَ المُحَدِّثونَ في قَضيَّةِ خلقِ القُرآنِ؟

7 ـ لِماذا أمرَ المُعتصمُ بِإِطلاقِ سَراحِ الإِمامِ أَحمدَ بنِ حنبل؟

8 ـ ماذا قالَ عليُّ بنُ المدنيِّ بِحقِّ الإِمامِ أَحمدَ بنِ حنبل؟